

مشكلة التوسع المفرط : تحليل سياسات أمريكا في البحر الأسود من منظور إطار عمل جينتلسون (Ps 4)

مراد أولغول * إسماعيل كوسا **

ملخص: الولايات المتحدة الأمريكية كسائر الدول ترتب أولوياتها في السياسة الخارجية، فتقدم بعض الأهداف على المصالح الأخرى في السياسة الخارجية. ومن الناحية التاريخية، كانت إستراتيجية الولايات المتحدة في منطقة البحر الأسود مستقرة ومحدودة وغير طموحة. وقد بدأ تغيير هذه الإستراتيجية الدقيقة خلال إدارة كلينتون في منتصف التسعينيات، عندما بدأت الولايات المتحدة تتبع إطاراً واسعاً للسياسة الخارجية، يشمل جميع المصالح الوطنية الأمريكية، عبر ما عُرف بنظام جينتلسون للمصالح الوطنية (Ps 4)، [أو نظام الكلّ معاً] الذي صاغه بروس جينتلسون من مزيج (القوة والسلام والازدهار والمبادئ). يعدّ البحث أن هذا التحول كان إشكالياً بسبب عائقين، هما: وهم أحادية القطب، والاستقطاب المتزايد في السياسة الداخلية الأمريكية. وهذا منع الولايات المتحدة من اتباع سياسة فعالة في منطقة البحر الأسود.

الكلمات المفتاحية: السياسة الخارجية الأمريكية، البحر الأسود، إدارة كلينتون، المصالح الوطنية (Ps 4).

The Problem of Overextension: Analyzing America's Black Sea Policies through Jentleson's 4 Ps Framework

MURAT ÜLGÜL * İSMAIL KÖSE **

ORCID NO : 0000-0003-3846-8971

ORCID NO : 0000-0002-8489-5088

*Karadeniz
Technical
University,
Turkey.

**Karadeniz
Technical
University,
Turkey.

ABSTRACT Historically, the U.S. strategy in the Black Sea region has been stable, limited, and not ambitious as American administrations prioritized certain foreign policy objectives over other interests. This careful strategy was transformed during the Clinton Administration in the mid-1990s as the U.S. started following an extensive foreign policy framework, which included all American national interests, formulated by Bruce Jentleson in his 4Ps framework: power, peace, prosperity, and principles. The article argues that this transformation was problematic because of two obstacles –the illusion of the unipolar moment and the growing polarization in American domestic politics– which prevented the U.S. from following an effective policy in the Black Sea region.

Keywords: U.S. Foreign Policy, Black Sea, Clinton Administration, 4Ps Framework National Interests

رييس، نويسين:
2022-(2/11)
9 - 34

مدخل:

في نوفمبر 2018، أطلقت البحرية الروسية النار على ثلاث سفن أوكرانية، واستولت عليها عندما كانت تمر بمضيق كيرتش. فأعلنت أوكرانيا التي كانت محبطة بالفعل من ضم روسيا لشبه جزيرة القرم في عام 2014- الأحكام العرفية وأثارت إمكانية «حرب شاملة» مع روسيا، وفاقمت موسكو القضية بصم آذانها عن دعوات الدول الغربية، ورفضها إطلاق سراح 24 بحارًا كانوا على متن السفن¹. فجاءت إحدى أخطر ردود الفعل من الكونغرس الأمريكي حيث أوصى بعض أعضاء مجلس الشيوخ المرموقين بعمل عسكري ضد روسيا. وقال عضو الكونغرس الجمهوري جون باراسو الذي يشغل منصبًا في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ: «بوتين شخص يحترم القوة والأرض. الكلمات لا تعني الكثير بالنسبة له. وهذا ما يجب فعله، لذلك أعتقد أننا بحاجة إلى بذل المزيد من الجهد»². كان القادة العسكريون أيضًا يؤيدون استعراض القوة، حيث جرى إرسال المدمرة الصاروخية الموجهة يو إس إس دونالد كوك إلى أوديسا، ميناء أوكرانيا على البحر الأسود؛ لإظهار التضامن³. لكن عدم حدوث إجراءات أكثر جدية يعود إلى انعزالية ترامب، واكتفائه بالتنديد، وإلغائه الاجتماع ببوتين في منتدى مجموعة العشرين في الأرجنتين في سبتمبر 2018، على الرغم من أن مستشاريه أوصوا بفرض عقوبات جديدة على روسيا، أو زيادة الوجود البحري الأمريكي في البحر الأسود⁴.

إن قضية مضيق كيرتش، رغم انتهاء الحرب الباردة، ورغم سلبية ترامب تجاه روسيا- توضح قضية أن منطقة البحر الأسود لا تزال مجالًا مهمًا أمام تنافس القوى العظمى بشكل عام، والسياسة الخارجية الأمريكية بشكل خاص. يتناول هذا البحث أهمية البحر الأسود في السياسة الخارجية الأمريكية من خلال التاريخ السياسي ووجهات نظر العلاقات الدولية في ضوء دراسة بعض أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة. ويحدد بأن هناك أربعة أهداف رئيسة للسياسة الخارجية تحدد المصالح القومية الأمريكية، هي: القوة والسلام والازدهار والمبادئ. فالمصالح الأمريكية في الخارج بحسب جنتلسون «تجمع دائمًا واحدًا أو أكثر من العناصر الأربعة» التي تكمل بعضها بعضًا، ولكنها أيضًا «تكون عرضة لمقايضات وتوترات، وتتسبب أحيانًا بخلاف كبير»⁵.

وقد اخترنا إطار عمل جنتلسون [الذي يعني السعي الأمريكي لتحقيق المصالح الوطنية الأربع المتمثلة في القوة والسلام والازدهار والقيم أو المبادئ الأخلاقية معًا، ويرمز إليه اختصارًا بـ (Ps 4)]، لتحليل سياسة الولايات المتحدة في البحر الأسود، حيث إن العناصر المكونة لها تعكس تضاربًا كبيرًا في الرأي حول دور أمريكا في الشؤون العالمية،

وذلك من خلال دمجها بنظريات العلاقات الدولية الرئيسة. فالأمريكيون يختلفون فيما بينهم حول الدور المناسب لبلادهم خارج الشواطئ. ويكنّ غالبية الأمريكيين احتراماً كبيراً لقوة الولايات المتحدة، ويرون أن بلادهم أقوى من الدول الأخرى، ولاسيّما من حيث القوة العسكرية والإنجازات التكنولوجية⁶. ويحرص الأمريكيون بشكل عام على أن تحافظ الولايات المتحدة على مكانتها بوصفها قوة عظمى في الشؤون العالمية، لكنهم يختلفون في كيفية تحقيق ذلك من قبل الحكومة. فبينما يميل الجمهوريون إلى تفضيل القوة العسكرية والعمل الأحادي المنفرد، يقول الديمقراطيون بأغلبية ساحقة: إن الدبلوماسية هي أفضل طريقة لضمان العلاقات السلمية⁷. وفي هذا الصدد، يمكننا رؤية صدام النظريات الواقعية والليبرالية بوضوح في هذه النظريات المتناقضة للعالم حول العلاقة بين القوة والسلام.

والنمو والازدهار متغيّر مهم آخر في إدارة السياسة الخارجية الأمريكية. وفي السياسة الأمريكية الحزبية، ربما يكون الاعتقاد بأن مشاركة الولايات المتحدة في الاقتصاد العالمي «أمر جيد» للأمريكيين وهي إحدى الاتفاقات النادرة بين الأحزاب السياسية الأمريكية⁸. ومع ذلك، أظهرت الحروب التجارية والعقوبات الاقتصادية خلال إدارة ترامب أن شرائح معينة داخل الحزب الجمهوري تعتقد بأن (الحماية) الاقتصادية قد تكون ضرورية لازدهار الأمريكيين، ويعارض آخرون والتيار الغالب في الديمقراطيين السياسة (الحماية)، ويميلون أكثر إلى رؤية أنّ التجارة الحرة أمر جيد⁹. وهذا من الناحية النظرية، هو الصراع بين النزعة التجارية والليبرالية.

والمبادئ بدورها تخلق فهمًا مشتركًا وخلافات بين الجمهور الأمريكي. فبينما يعدّ غالبية الأمريكيين أنفسهم «أمة استثنائية»، ويعدّون الولايات المتحدة «دولة نموذجية» يجب أن تتخذها البلدان الأخرى قدوةً ومثالاً، فإن هذا الاعتقاد الذاتي تسبب عبر التاريخ الأمريكي بحدوث مدّ وجزر كبيرين بين الانعزالية والعالمية. وبينما يعتقد الدوليون أن الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية نشر قيمها في جميع أنحاء العالم، يفضل الانعزاليون الابتعاد عن بقية المجتمع العالمي للحفاظ على طهر ونقاء الأمريكيين¹⁰. وهذا الاختلاف الحزبي نفسه يطل علينا اليوم فيما يتعلق بقضية المبادئ أيضًا. فالديمقراطيون، مقارنةً بالجمهوريين، يميلون أكثر إلى تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان في البلدان الأخرى، ويهتمون بالمساعدة في تحسين مستويات المعيشة في الدول النامية¹¹. لذلك، بينما يعكس إطار عمل جنتلسون تناقضات السياسة الخارجية داخل الولايات المتحدة، فإنه يركز أيضًا على المتغيرات المختلفة التي جرى تحديد أولوياتها من قبل مختلف نظريات العلاقات الدولية، وبخاصة الواقعية (القوة)، والليبرالية (السلام، والازدهار)، والبناء الاجتماعي

(المبادئ). كل هذه الخلافات مهمّة لفهم التحديات التي واجهتها الولايات المتحدة في منطقة البحر الأسود منذ نهاية الحرب الباردة.

سنتناول بداية تفصيلات إطار عمل (Ps 4)، وكيف يؤثر في السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وسيظهر القسم التالي الاهتمام الأمريكي بمنطقة البحر الأسود عبر التاريخ من خلال النظر في هذه العناصر. سنبين هنا أن أولويات المصالح الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية ترتبت تبعاً لقوتها التي اختلفت عبر الزمن، لكن الاتساق النسبي كان يسود موقف الولايات المتحدة بشأن البحر الأسود. سيركز القسم الثالث على سياسات الولايات المتحدة في البحر الأسود بعد الحرب الباردة، ويحلل كيف ركزت كل إدارة على أهداف مختلفة في إطار عمل (Ps 4)، الذي شكل خرقاً للسياسات المتسقة المستمرة في المنطقة، وأدى إلى الغموض في أذهان الحلفاء الإقليميين. وسيلخص القسم الختامي النتائج، ويقدم تحليلاً موجزاً لنهج إدارة بايدن في المنطقة.

إطار عمل (Ps 4): أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية

تشكل القوة عاملاً مهمّاً وحاسماً لجميع الدول أيّاً كانت قوتها؛ لأنها توفر حاجة أساسية هي الأمن والبقاء هما الشغل الشاغل في النظام الدولي الفوضوي لمجرد أن الدول لا تستطيع أبداً التأكد من نوايا الدول الأخرى. لهذا السبب تحاول الدول زيادة قدراتها ومكاسبها النسبية من خلال الاعتماد على القوة¹². لكن ما لا يستطيع الأمريكيون الاتفاق عليه هو مقدار القوة التي يحتاجونها للأمن والبقاء. يفترض مؤيدو التفوق الأمريكي أن الطريقة الأكثر أماناً للبقاء هي أن تكون مهيمناً داخل النظام الدولي، حيث يوجد دائماً تهديد من القوى العظمى الأخرى التي تسعى أيضاً إلى قيادة عالمية¹³. من وجهة النظر هذه، فإن تراكم القوة هو عملية لا تنتهي أبداً، ولا يستطيع القادة الأمريكيون تجنب التطورات في أجزاء أخرى من العالم.

من جانب آخر، يعتقد الواقعيون أن الحفاظ على القوة أهم من زيادتها، ويهتم هؤلاء بشكل أساسي بحماية توازن القوى الحالي، باعتبار أن القوة الأمريكية محدودة. ويميل الواقعيون أكثر إلى تقاسم السلطة مع البلدان ذات التفكير المماثل من خلال التحالفات، إلى جانب زيادة قدراتهم العسكرية¹⁴. ويهتم الواقعيون أيضاً بالتطورات في المناطق الأخرى، ولكن فقط إذا أثرت هذه التطورات في ميزان القوى الحالي. وهناك أخيراً، إستراتيجية تقوم على تقليص النفقات، وترى بأن أفضل طريقة لتوفير الأمن للولايات المتحدة هي تحديد المصالح الإستراتيجية الأساسية، وتقليل عدد الالتزامات الأمنية

الأمريكية حول العالم. إن فهم مؤيدي التقشف **”يعتقد بعض الليبراليين أن الاعتماد الاقتصادي المتبادل من خلال التجارة الحرة يمنح الدول دافعاً مهماً لإقامة علاقات سلمية“** ضارة في الأمن، مثل صعود العداء لأمريكا¹⁵.

وإذا كان أحد أهداف تراكم القوة هو توفير الأمن، فإن الهدف الآخر هو تحقيق السلام، وهي المصلحة الوطنية الثانية في إطار عمل جنتلسون. تؤمن جميع الاستراتيجيات الكبرى للولايات المتحدة التي ذكرناها آنفاً بإمكانية تحقيق السلام من خلال القوة الأمريكية. يقترح أصحاب التفوق الأمريكي نظرية الاستقرار المهيمن التي تفترض أن العالم أكثر سلاماً في ظل قوة مهيمنة توفر الاستقرار الحكومي في مجتمع دولي فوضوي¹⁶. ويرفض الواقعيون هذه الحجة بالإشارة إلى أن التنافس على الهيمنة موجود دائماً في النظام الدولي، وأن أفضل طريقة لتأمين السلام هو الاعتماد على توازن القوى بين القوى العظمى¹⁷. من ناحية أخرى، يعتقد أنصار التقشف أن التعددية القطبية أكثر سلمية، إما لأنها تمنع إظهار القوة المفرط وغير الضروري في جميع أنحاء العالم من قبل الولايات المتحدة، وإما لأنها ترضي القوى العظمى الأخرى من خلال منحها السيطرة في مجالات نفوذها¹⁸.

في الوقت ذاته، نحتاج إلى تأكيد أن السلام لا يتحقق من خلال القوة وحدها. وتذهب نظرية السلام الديمقراطي إلى أن العدد المتزايد من الديمقراطيات هو السبب الرئيس لانخفاض كمية الحرب بين الدول المستقلة، حيث يُعتقد أن الديمقراطيات لا تقاوم بعضها بعضاً¹⁹. تفترض هذه النظرية أن ما يجب على الولايات المتحدة فعله من أجل السلام العالمي هو المساعدة في التحول الديمقراطي في العالم. وترى النظرية الليبرالية المؤسسية أن السلام العالمي يمكن تحقيقه من خلال التعاون في المنظمات والمؤسسات الدولية؛ لأنها تؤدي أدواراً حاسمة كآليات لمنع الأزمات²⁰. أخيراً، يعتقد بعض الليبراليين أن الاعتماد الاقتصادي المتبادل من خلال التجارة الحرة يمنح الدول دافعاً مهماً لإقامة علاقات سلمية؛ لأن وجود الصراع يحدد خصائص الاقتصاد التجاري، وإقامة العلاقات السلمية، ومن ثم ستؤدي إلى ارتفاع مستوى التجارة الدولية²¹.

تقودنا نظرية الترابط الاقتصادي إلى مصلحة وطنية أخرى مهمة للولايات المتحدة، وهي الازدهار. فقد أصبحت التجارة الحرة والنمو الاقتصادي هدفين مستمرين للسياسة الخارجية للولايات المتحدة منذ الاستقلال. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية الدولة المستقلة حديثاً، قد قررت في وقت لم تكن فيه بعد قوة بالقدر الكافي - الدخول في

صراعات عسكرية في مناطق ما وراء البحار عندما هددت الدول الأوروبية والبربرية تجارتها الاقتصادية في البحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن التاسع عشر²². وكان ما يزيد على سبعين بالمئة من الاتفاقيات الدولية التي وقعتها الولايات المتحدة في هذا القرن كانت حول المسائل الاقتصادية²³. وبينما اتبع المسؤولون الأمريكيون سياسة خارجية نشطة لفتح مناطق الشرق الأقصى وبخاصة الصين واليابان أمام التجارة الدولية- تولت الولايات المتحدة قيادة العالم الرأسمالي من خلال المنظمات الاقتصادية الدولية، مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، والاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة. فالرخاء والازدهار بشكل عام مصلحة وطنية حاسمة في السياسة الخارجية الأمريكية، ويكون ذلك في بعض الأحيان في صميم أجندة الرؤساء الأمريكيين، كما يظهر ذلك في إستراتيجية دونالد ترامب: «أمريكا أولاً» وحربه التجارية مع الصين.

أخيراً، تؤدّي المبادئ والقيم الأخلاقية دوراً بارزاً في تشكيل سلوكيات السياسة الخارجية للولايات المتحدة. فقد صعد الأوروبيون الأوائل، وخصوصاً البيوريتانيون (التطهيريون) إلى القارة الأمريكية من أجل التخطيط لإنشاء «إسرائيل الجديدة»، وإنشاء مجتمع مسيحي مثالي من شأنه أن يبني مملكة الرب في أمريكا²⁴. وعلى الرغم من عدم مشاركة كل مهاجر في هذا الهدف الديني، فإنهم اعتقدوا جميعاً أن ما شكلوه كان مجتمعاً استثنائياً ستتحده جميع المجتمعات الأخرى نموذجاً ومثالاً، كأنها «مدينة فوق تل» كما تصورها جون وينشروب في عام 1630²⁵. ومنذ ذلك الحين خلق هذا الإيمان عند الأمريكيين إعجابهم الذاتي الذي يدفعهم إلى نشر قيمهم في مجتمعات أخرى، ويفتح الطريق لإخفاء أهداف عقلانية. وقدمت مفاهيم مثل «القدر الواضح» و«الاستثنائية الأمريكية» و«عبء الرجل الأبيض»- الخلفية الأيديولوجية لفرض القيم الأمريكية ونمط الحياة الاقتصادي والمعتقدات الدينية على السكان الآخرين، وبالتحديد السكان الهنود والمكسيكيون ومنطقة البحر الكاريبي، والسيطرة على أراضيهم. وبعد تحول الولايات المتحدة إلى قوة عالمية بعد الحرب العالمية الثانية؛ واصلت الإدارات الأمريكية نشر قيمها الخاصة في حملة عالمية. وأصبحت الديمقراطية وحقوق الإنسان والحرية السياسية والاقتصاد الرأسمالي والتجارة الحرة- مفاهيم أساسية أرادت الولايات المتحدة شيوعها في جميع البلدان. نتيجة لذلك، لم تمتنع الولايات المتحدة مرة أخرى عن استخدام القوة العسكرية الأمريكية لنشر مبادئها كما حدث في كوريا وفيتنام والعراق.

كل هذه المصالح الوطنية متشابكة، ومن الصعب الفصل بينها عند تحليل سلوك السياسة الخارجية للولايات المتحدة. خذ حرب العراق عام 2003 على سبيل المثال. كان لهذا العمل العسكري أهداف متعددة مثل إظهار الوجود العسكري الأمريكي في منطقة



بعيدة (القوة)، والإطاحة بنظام العدو الذي كان يُفترض أنه يمتلك أسلحة دمار شامل (السلام)، والسيطرة على احتياطيات النفط في المنطقة (الازدهار)، وتعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط (مبادئ). وكذلك الوجود الأمريكي في البحر الأسود يعكس أيضاً جميع المصالح الوطنية الموضحة آنفاً. ورغم ذلك يتم إعطاء الأولوية للمصالح المختلفة في فترات مختلفة. والأمر الأكثر إثارة للاهتمام بالنسبة لنا هو أن الأهداف الأمريكية في البحر الأسود كانت ثابتة ومستقرة قبل نهاية الحرب الباردة. والتأثير الرئيس لما يُسمّى «بالفترة أحادية القطب» الأمريكية القصيرة في السياسة العالمية²⁶ يتجلى في أنها أجبرت الولايات المتحدة على تلبية جميع المصالح الوطنية في وقت واحد، وهذا أدى فقط إلى الغموض والسياسات غير المنتظمة.

الازدهار: سياسات أمريكا في البحر الأسود قبل الحرب الباردة

يعود الاهتمام الأمريكي بمنطقة البحر الأسود إلى بداية القرن التاسع عشر. أُسّست الولايات المتحدة في البداية بوصفها دولة تجارية، وأتاحت مساحة اليابسة الكبيرة حول منطقة البحر الأسود لها فرصة سوق كبيرة لبيع السلع الأمريكية المصنعة والحصول على

المواد الخام اللازمة للصناعة الأمريكية. نتيجة لذلك، كانت زيادة الرخاء الأمريكي من خلال الدخول إلى أراضي أوراسيا عبر البحر الأسود أحد الدوافع الرئيسة وراء محاولة الولايات المتحدة إقامة علاقات دبلوماسية مع الأتراك العثمانيين. وقد تحقق هذا الهدف بمعاهدة أدرنة في سبتمبر 1829 حيث حصلت الولايات المتحدة على حقوق المرور الحر لسفنها التجارية إلى البحر الأسود²⁷. وعلى الرغم من أن حركة المرور التجارية الأمريكية سرعان ما تضاءلت بسبب الصعوبات الطبيعية والبشرية²⁸، فقد استمر المسؤولون الأمريكيون في الدعوة إلى حرية الوصول إلى البحر الأسود في العقود اللاحقة. في هذه الحقبة، كان الاهتمام الأمريكي بالمنطقة تجاريًا بشكل أساسي، وكان يفتقر إلى أي دليل على القوة والسلام والمبادئ.

خلال الحرب العالمية الأولى، اكتسبت المضائق التركية والبحر الأسود أهمية إستراتيجية حيث منعت السيطرة التركية على المضائق مساعدة الغرب لروسيا القيصرية، وسرّعت الأحداث الثورية في البلاد. ونتيجة لذلك، وجدت حالة المضائق مساحة صلبة في مبادئ ويلسون الأربعة عشر. وأكدت المادة الثانية عشرة على أنه «يجب فتح الدردنيل بشكل دائم بوصفه ممرًا مجانيًا للسفن والتجارة أمام جميع الدول بموجب ضمانات دولية»²⁹. بالنظر إلى أممية ويلسون، يمكن للمرء أن يشعر بعنصر القوة في هذا التركيز على حالة المضائق. فقد كان تنظيم المضائق يعني تنظيم البحر الأسود وديناميكيات السلطة في هذه المنطقة، حيث كان هناك بلد اشتراكي تحت حكم البلاشفة على وشك أن يُولد. ومع ذلك، عندما عارض الكونغرس خطة ويلسون لدمج الولايات المتحدة في السياسة العالمية، تلاشى الاهتمام بالبحر الأسود أيضًا. وفضّلت حكومة الولايات المتحدة ألا تكون جزءًا من اتفاقية سيفر أو مؤتمر لوزان أو اتفاقية مونترال التي تنظم وضع المضائق والبحر الأسود. ولم تبد الولايات المتحدة اهتمامًا بمنطقة البحر الأسود طالما بقيت المضائق والبحر الأسود مفتوحين للسفن التجارية.

وبأتي تعيين مارك إل. بريستول أميرًا بحريًا لتمثيل المصالح الأمريكية في إسطنبول بعد الحرب العالمية الأولى - استثناءً ثانويًا لعدم اهتمامها بالقوة في منطقة البحر الأسود. وكانت مراقبة منطقة البحر الأسود وحماية المصالح الأمريكية في ظل إعادة توزيع القوة فيها أحد الأهداف الرئيسة لهذا التعيين³⁰. خلال فترة ولاية الأدميرال بريستول في إسطنبول بين عامي 1919 و 1927، كانت هناك أنشطة تجارية وبحرية أمريكية مكثفة في البحر الأسود. لكن الإدارة الأمريكية قللت من مصالحها ورؤيتها العسكرية في المنطقة بعد بريستول في أعقاب المزاج الانعزالي القوي في الولايات المتحدة في هذا الصدد. لكن النظام الدولي الجديد في بداية الحرب الباردة، والتهديدات الأمنية الهجومية الواقعية،

والنظام الدولي ثنائي القطب، إلى جانب مطالبة ستالين القوية بالمضايق التركية، ومن ثمّ الرغبة السوفيتية في السيطرة على البحر الأسود- كل ذلك كان بمثابة اختبار للولايات المتحدة للحفاظ على مصالحها الحيوية في البحر الأسود، وكان على الولايات المتحدة؛ إما مواجهة ستالين وإمّا ترك المنطقة للسوفييت.

القوة: السياسات الأمريكية تجاه البحر الأسود خلال الحرب الباردة

في خطابه في جامعة هارفارد في 6 سبتمبر 1943، دعا ونستون تشرشل الولايات المتحدة إلى تحمّل المزيد من المسؤولية في الشؤون العالمية بقوله: «لا يمكن للمرء أن يكون من نواح كثيرة المجتمع الرائد في العالم المتحضر بدون التورط في مشكلاته، وبدون أن ينزعج من آلامه ويستلهم أسبابه... لا يمكن للناس في الولايات المتحدة الهروب من المسؤولية العالمية»³¹. ومع ذلك، عندما واجهت الولايات المتحدة عدوها الاتحاد السوفيتي لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية، كان هناك غموض كبير في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية بشأن المسار السياسي الذي يجب أن تتبعه الولايات المتحدة في الشؤون العالمية³². كان هذا واضحًا في تردد الولايات المتحدة في تقديم دعم قوي لتركيا ضد العدوان السوفيتي ومطالبها غير المقبولة على المضايق التركية³³. فقد لاحظت واشنطن أن الهدف من التوسع السوفيتي في البحر الأسود هو السيطرة على المنطقة الإستراتيجية، ومن ذلك الكتلة الأرضية التي تحيط بالبحر الأسود³⁴. كانت المطالب القوية على المضايق التركية والوجود السوفياتي المتزايد في البلقان، حيث يصب نهر الدانوب في البحر الأسود- علامات واضحة على نوايا ستالين العدوانية.

بعد النظر في جميع الأولويات الإستراتيجية والمشكلات الحيوية المحتملة المتعلقة بالحكم السوفيتي في البحر الأسود، قرر صناع السياسة الأمريكيون مواجهة السوفييت في بداية عام 1946. فأعطى الرئيس ترومان الإشارات الأولى لسياسة جديدة في خطابه في يوم الجيش في 6 أبريل 1946، قائلاً: إن منطقة الشرق الأوسط بمصادرها الطاقية تحمل أهمية اقتصادية وإستراتيجية. لذلك، ستدعم الولايات المتحدة جميع الدول الضعيفة في هذه المنطقة. لم يأت ترومان في خطابه على ذكر أي شيء عن البحر الأسود أو البلقان، لكنه ألمح من الناحية الدبلوماسية إلى أن الأولوية في الدعم ستكون لتركيا واليونان، وكان خطابه واضحًا بأن المواجهة الأمريكية مع السوفييت ستبدأ عند السواحل الجنوبية للبحر الأسود³⁵. وقد عجلت برقية جورج كينان الشهيرة إلى وزارة الخارجية حول النوايا السوفيتية وعقيدة ترومان بعد عام واحد من صياغة سياسة خارجية أمريكية جديدة هذا التحول تجاه البحر الأسود. وقرر صناع السياسة في الولايات المتحدة إبقاء السوفييت

على الساحل الشمالي للبحر الأسود من أجل فرض النظام العالمي الجديد، وهذا يعني أن مصالحهم في المنطقة لن تقتصر على الازدهار بعد الآن. فكان هذا تغييراً جذرياً في سياسات الولايات المتحدة بشأن البحر الأسود، بدأ بالدفاع عن الشرق الأوسط وشرق البحر الأبيض المتوسط والبلقان أو احتواء السوفييت بشكل عام في البحر الأسود.

بعد مبدأ ترومان، جرى تعيين ضباط وخبراء أمريكيين في تركيا لإنشاء قواعد عسكرية، ومراقبة الأنشطة السوفيتية في المنطقة. ورحبت الحكومة التركية بالمصالح الإستراتيجية الأمريكية، وسمحت للضباط الأمريكيين بالوصول إلى مناطق عسكرية شديدة السرية³⁶. ومع ذلك، اعتقد صناع السياسة في الولايات المتحدة أن موقعهم في البحر الأسود كان ضعيفاً بسبب عقبتين. فكانت سياسات الحياد التقليدية التي اتبعتها تركيا بصرامة خطيرة، ولم تكن أنقرة تسمح للولايات المتحدة باستخدام موانئها أو مضائقها أو قواعدها الجوية. كان الأتراك خائفين من التهديد السوفيتي، وكان ينبغي عمل المزيد لضمان دعم تركيا المخلص³⁷. وكان حل هذه المشكلة يكمن في دعم انضمام تركيا إلى الناتو. وبينما كانت هذه المشكلة الأولى سياسية؛ كانت المشكلة الأخرى تقنية. فبموجب اتفاقية مونترو (1936)، كان من المستحيل الاحتفاظ بقوة بحرية أكبر من حجم محدد، وأكثر من واحد وعشرين يوماً في البحر الأسود. لم تكن الولايات المتحدة من الدول الموقعة على الاتفاقية ولكن كان عليها أن تتصرف وفقاً للقانون الدولي، لئلا تظهر بمظهر المخالف للقواعد. وفي هذه الحالة، اصطدمت المبادئ مع عنصر القوة؛ لأن الأول لم يروج للمصالح الوطنية للولايات المتحدة. ولم يكن أمام الولايات المتحدة خيار سوى الاحتفاظ بقوة بحرية كبيرة في شرق البحر الأبيض المتوسط لمراقبة الأنشطة السوفيتية في البحر الأسود. وفي هذه الخطة، سيزور الأسطول السادس الشهير الموانئ التركية في المضيق، وسيقوم بأنشطة للسيطرة على البحر الأسود.

جاء رد الفعل السوفيتي على استعراض القوة الأمريكية في منطقة البحر الأسود فقط بعد وفاة ستالين في عام 1953. فلم تلغ المذكرة التي أرسلها الأمين العام الجديد للحزب الشيوعي خروتشوف إلى أنقرة المطالب السوفيتية بشأن المضائق ومراجعة مونترو، لكنها استخدمت صياغة لطيفة للمصالحة³⁸. في غضون ذلك، اشتكى السوفييت بشكل منهجي من الوجود الأمريكي حول البحر الأسود والزيارات البحرية الأمريكية إلى الموانئ التركية في المضيق³⁹. وعزز السوفييت أيضاً قوتهم البحرية في البحر الأسود وشرق البحر الأبيض المتوسط، والمعروفة باسم إسكارداد أو السرب، في أثناء تطوير الصواريخ والتكنولوجيا البحرية، وبخاصة بعد الستينيات؛ لموازنة القوة الأمريكية في المنطقة⁴⁰. وزادت الأنشطة البحرية السوفيتية التي تمر في كلا الاتجاهين



عبر المضيق بشكل جاد، حيث بدأت إسكارددا في استخدام موانئ شمال الإسكندرية وبورسعيد والسلوم. ومن الناحية الفنية، كانت إسكارددا أضعف من الأسطول السادس، ولكن كان لديها مرافق أكثر فاعلية من الولايات المتحدة في البحر الأبيض المتوسط. إجمالاً، أثارت طموحات الولايات المتحدة في منطقة البحر الأسود سياسات سوفيتية أكثر نشاطاً في البحر الأبيض المتوسط، ولم يتغير ميزان القوى بين الطرفين بشكل كبير خلال الفترة المتبقية من الحرب الباردة.

تُظهر سياسات الحرب الباردة المبكرة هذه حول البحر الأسود أن القوة كانت العنصر الأكثر أهمية في السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه المنطقة. وقد فقد هدف الازدهار زخمه خلال هذه السنوات، حيث كانت البلدان المحيطة بالبحر الأسود، باستثناء تركيا واليونان، تحت سيطرة قوة شيوعية لا تؤمن بقيمة التجارة الحرة. واقترح صناع السياسة الأمريكيون مبادئ مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان لإضعاف النظام السوفيتي، لكنه لم يجد الحماس الكافي حيث كان الحفاظ على توازن القوى بين الكتلتين هو الأولوية الرئيسة. وبالمثل، بقيت تصريحات المسؤولين الأمريكيين بنياتهم في إحلال السلام العالمي ضعيفةً عند صياغة سياسات الحرب الباردة، وكان لا بد من

إزالة النظام السوفيتي لتحقيق ذلك، مما جعل القوة أكثر أهمية من السلام. وقد تغيرت هذه النظرة الموجهة نحو القوة بشكل كبير عندما انتهى النظام السوفيتي في عام 1991.

الكلّ معاً (Ps 4): سياسات أمريكا بشأن البحر الأسود بعد الحرب الباردة

عندما بدأ انهيار الإمبراطورية السوفيتية وجدت الولايات المتحدة نفسها القوة العظمى الوحيدة في العالم، وحانت فترة القطب الواحد في النظام الدولي. وبينما كانت زهوة الانتصار تشكل بلا شك إثارة غير مسبوقه لإعلان «نهاية التاريخ»⁴¹؛ كانت الفترة الجديدة تفتح كل قضية وكل منطقة أمام مصالح الولايات المتحدة. ولم تكن منطقة البحر الأسود استثناءً، ولم يعد صناع السياسة الأمريكيون يقيدون مصالحهم الإقليمية بأولويات معينة كما حدث في الماضي. فكانت الأولوية الرئيسة للولايات المتحدة في منطقة البحر الأسود في أوائل التسعينيات هي المساعدة في الانتقال السلمي من الحكم الشيوعي إلى نظام سياسي ديمقراطي واقتصاد موجه نحو السوق. وكان الرئيس جورج دبليو بوش مدرّكاً تماماً أنه إذا حاولت الولايات المتحدة استغلال موقعها المتميز في علاقاتها مع حكومة غورباتشوف، ولاسيما في قضية الأسلحة النووية، فإن ذلك لن يؤدي إلا إلى نتائج عكسية. وركزت إدارته على السلام، ووعدت بعدم الاعتراف باستقلال دول البحر الأسود، وبخاصة أوكرانيا، حتى فعلت روسيا. وتعاونت مع روسيا في تفكيك الأسلحة النووية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق. ولم تستغل المنافسة على السلطة بين غورباتشوف وبوريس يلتسين باختيار أحد الجانبين⁴². ولم تكن أولوية الولايات المتحدة في البحر الأسود طموحة وواضحة تماماً، بل كانت تركز على منع وقوع كارثة سياسية ونووية في الأراضي السوفيتية السابقة.

ثم، ابتداءً من عام 1994، بدأت المصالح الأمريكية في البحر الأسود تتخذ شكلاً أكثر تنوعاً وتعقيداً. وقامت عدة أسباب وراء هذا التحول السياسي. فلم ينتج عن الانتقال المتواضع من الشيوعية إلى نظام ديمقراطيٍّ موجه نحو السوق؛ التغييرات المرغوبة في روسيا وجوارها. ولم تستطع الإصلاحات الغربية حل مشكلات الفساد والفقر في روسيا، وجرى إلقاء اللوم على السياسيين الموالين للغرب بوصفهم يمثلون المصالح الغربية⁴³. ورفعت المشكلات الاقتصادية والسياسية رصيد قوة القوميين والأوراسيين في البلاد، واضطر يلتسين إلى تبني سياساتٍ أكثر حزمًا في الجوار الروسي. فاعتمدت المسودة الأولى للعقيدة العسكرية الروسية لعام 1993 نبرة انتقادية شديدة للوجود الأمريكي في الجوار الروسي، واشتكت من دخول قواتٍ أجنبيةٍ إلى دولٍ مجاورةٍ قريبةٍ من الحدود الروسية⁴⁴. ثم في العام نفسه، أعلنت الحكومة الروسية «عقيدة الخارج القريب» التي

أوضحت أن «منطقة الاتحاد السوفيتي السابق بأكملها هي إحدى المصالح الحيوية لروسيا»⁴⁵. وفي ظل عودة عقلية السياسة الواقعية ربطت الولايات المتحدة مرة أخرى هدف السلام بالقوة، عبر الدخول في منافسة نفوذ مع روسيا في منطقة البحر الأسود.

وكذلك، ازداد دور الازدهار في تشكيل السياسات الأمريكية في منطقة البحر الأسود أكثر من أي وقت مضى بعد أن أظهرت إدارة كلينتون اهتمامًا بمصادر الطاقة الغنية للدول المستقلة حديثًا في آسيا الوسطى والقوقاز. وحاولت أذربيجان وجورجيا اللتين كانتا قلقتين بشدة بشأن عقيدة الخارج القريب لروسيا على وجه الخصوص، الابتعاد عن مدار روسيا باستخدام «دبلوماسية خطوط الأنابيب»، التي اقترحت السيطرة على موارد الطاقة وطرقها مقابل الدعم السياسي الأمريكي في القضايا الإقليمية⁴⁶. وقد أدى زيغنيو بريجنسكي مستشار الأمن القومي السابق في إدارة كارتر، دورًا مهمًا بشكل خاص في توجيه انتباه الرئيس كلينتون إلى أهمية القوقاز وآسيا الوسطى. فرأى بريجنسكي أن الكتلة اليابسة في أوراسيا منطقة جيواستراتيجية حرجة، و«رقعة الشطرنج التي يستمر فيها الصراع من أجل السيادة العالمية» بحسب تعريفه⁴⁷. إلى جانب اهتماماته المهنية في كونه مستشارًا لشركة أموكو للنفط، دفعت الأهمية الإستراتيجية للمنطقة بريجنسكي إلى تحذير إدارة كلينتون من أن تجاهل مصالح الطاقة في المنطقة سيكون خطأ استراتيجيًا⁴⁸. وحاولت إدارة كلينتون عبر قناة بريجنسكي إقناع القيادة الأذربيجانية بنقل النفط الأذربيجاني عبر تركيا، أي تجاوز الأراضي الروسية⁴⁹. وعندما انضمت جورجيا إلى هذا المشروع الذي تقوده الولايات المتحدة، ظهرت كتلة نفطية قاومت النفوذ الإقليمي الروسي، وجعلت منطقة البحر الأسود نقطة ساخنة حاسمة في منافسة الطاقة بين الولايات المتحدة وروسيا.

وأخيرًا، دخلت المبادئ في صياغة الولايات المتحدة للمصالح الوطنية حيث اشتدت المنافسة الاقتصادية والنفوذ مع روسيا في منتصف التسعينيات. وعلى الرغم من إخفاق الإصلاحات الديمقراطية في روسيا، فإن التركيز على التحول الديمقراطي لم يفقد قيمته في هذه الفترة؛ لأنه وفقًا لنظرية السلام الديمقراطي الشعبي كان يُعتقد أنه عندما تتبنى الدول المستقلة حديثًا أنظمة ديمقراطية، فإن الصراع داخلها وفيما بينها سوف يتلاشى، وسيكون هناك نظام واستقرار في مناطق الاتحاد السوفيتي السابق. وقد استهدفت مطالب التحول الديمقراطي دول البحر الأسود مثل أوكرانيا وجورجيا على وجه الخصوص، حيث كان استقرارها أمرًا بالغ الأهمية لأمن أوروبا. وعندما نشبت المنافسة على النفوذ بين الولايات المتحدة وروسيا؛ أصبح إسباغ الطابع الديمقراطي على هذه الدول ضروريًا أيضًا للمصالح الوطنية للولايات المتحدة حيث تحوّل اندماجها في العالم الغربي إلى عنصرٍ

حاسم في سياسات الاحتواء الجديد. لذلك، بدأ المسؤولون الأمريكيون في الإعراب عن دعمهم لعضوية أوكرانيا وجورجيا في المؤسسات الغربية، مثل الناتو والاتحاد الأوروبي لإدخال الديمقراطية والسوق الحرة إلى هذه البلدان. وأصبحت التنمية الديمقراطية لدول البحر الأسود محركاً مهماً لمشاركة الولايات المتحدة في المنطقة، وجرى تبني التمويل والمساعدات الفنية لدعم مؤسسات المجتمع المدني وتعزيز الديمقراطية في دول البحر الأسود في منتصف التسعينيات⁵⁰.

كان هذا التركيز متعدد الأبعاد على منطقة البحر الأسود في فترة ما بعد الحرب الباردة مشكلة؛ لسببين: أحدهما خارجي والآخر داخلي. وكانت المشكلة الخارجية تتمثل في ضبابية أحادية القطب. فبعد أن هاجم تنظيم القاعدة مركز التجارة العالمي في 11 سبتمبر 2001، اعتقدت إدارة بوش خطأً أن القوة الأمريكية غير المحدودة ستزود الولايات المتحدة برفاهية التصرف من جانب واحد في الشؤون الدولية. ولكن سرعان ما تحولت عمليات أفغانستان والعراق إلى مستنقع، وأدرك المسؤولون الأمريكيون أنهم بحاجة إلى موازنة المصالح الأمريكية في المناطق الجغرافية البعيدة. وسرعان ما احتاجت إدارة بوش إلى التعاون مع روسيا بوتين في آسيا الوسطى من أجل تخفيف العمليات العسكرية في أفغانستان، وهي سياسة تعمل تلقائياً على تقليص السياسات العدوانية المعادية لروسيا في البحر الأسود. وعلى الرغم من أن الرئيس بوش قدم دعماً صريحاً للثورات الملونة في أوكرانيا وجورجيا، ودعم عضوية هذه الدول في الناتو⁵¹، فإن إحجامه عن مواجهة روسيا في البحر الأسود شجع بوتين على مهاجمة جورجيا في صيف عام 2008. وكذلك، شوهدت الإشكالية نفسها في إدارة أوباما حيث تسببت مصالح السياسة الخارجية الأخرى - مثل الانسحاب من أفغانستان أو ضرورة تنسيق السياسات مع روسيا بشأن المفاوضات النووية مع إيران - في تراجع الولايات المتحدة عن منطقة البحر الأسود⁵². وعندما ضمت روسيا شبه جزيرة القرم وبدأت القوات شبه العسكرية الروسية صراعاتها في شرق أوكرانيا - بقيت واشنطن سلبية أمام المحاولة العسكرية الروسية لتوسيع مجال نفوذها في البحر الأسود. أخيراً، عندما وصل الرئيس غير التقليدي دونالد ترامب إلى السلطة، وتبنى «عقيدة الوطنية» بدلاً من «أيدولوجية العولمة»⁵³، اختفى ببساطة محور كليتون في البحر الأسود. وركزت خيارات ترامب القومية على إعادة تنظيم التزامات السياسة الخارجية للولايات المتحدة بدلاً من مضاعفتها، بسبب علاقاتها في التحالف مع الدول الإقليمية.

وتمثلت المشكلة الداخلية التي قللت من قيمة تركيز كليتون على منطقة البحر الأسود في الحزبية المتزايدة في السياسة الأمريكية. فقد ساعدت ديناميكيات الحرب الباردة التي استمرت سنوات طويلة، السياسيين الأمريكيين على إنشاء سياسة خارجية



يتعاون فيها الحزبان. وعندما اختفى الاتحاد السوفيتي، بدأ الدافع الكبير الذي يشجع التعاون بين الكتل السياسية بالتلاشي. وبينما تجلت الحزبية المتزايدة في أشكال مختلفة من حيث السياسة الخارجية، فقد أدت بجميع الرؤساء إلى اتباع سياسات معاكسة لأسلافهم. إذ تغيرت الرئاسة بين الجمهوريين والديمقراطيين في فترة ما بعد الحرب الباردة، ووصل كل رئيس إلى السلطة بشعار: «قل أي شيء سوى ما يقوله الرئيس السابق»، وأدى ذلك إلى تحولات مستمرة في السياسة الخارجية الأمريكية، حيث بدأ كل رئيس رئاسته بأهداف مختلفة لسلفه؛ لذلك، لم يكن جورج دبليو بوش مهتمًا حقًا باتباع سياسات كلينتون متعددة الأبعاد المتعلقة بالبحر الأسود ضد روسيا؛ بسبب أن تركيزه كان على الشرق الأوسط، لا على منطقة البحر الأسود. بل أكثر من ذلك، كان بوش يعتقد أنه يمكن أن تكون له علاقات جديدة بالثقة مع بوتين قبل الحادي

عشر من سبتمبر؛ لأنه «امتلك إحساسًا بروح بوتين بعد أن نظر إليه في عينيه»⁵⁴. وعندما تدهورت العلاقات الأمريكية الروسية في البحر الأسود بسبب هجوم روسيا على جورجيا في العام الأخير من رئاسة بوش، حاول باراك أوباما «إعادة ضبط» العلاقات مع روسيا؛ لأن الولايات المتحدة لديها «العديد من المصالح الإستراتيجية والأمنية المهمة، ونحن بحاجة إلى إحراز تقدم حيثما أمكننا ذلك» بحسب ما صرحت به وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون⁵⁵. وعندما عزز الغزو الروسي لشبه جزيرة القرم موقف إدارة أوباما ضد روسيا، غيرت ترابمب السياسات الإقليمية للولايات المتحدة في البحر الأسود مرة أخرى من خلال تبني موقف ناعم ضد سياسات موسكو العسكرية. فالحزبية المتزايدة في السياسة الداخلية للولايات المتحدة والتحولات المستمرة في الرئاسة بين الديمقراطيين والجمهوريين في فترة ما بعد الحرب الباردة - كل ذلك باختصار منع تشكيل خيارات سياسية مستقرة ومستمرة في منطقة البحر الأسود.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وسّعت الولايات المتحدة سياساتها في البحر الأسود؛ لا من الناحية الجغرافية فقط بل من حيث المصالح. ودخل الازدهار والمبادئ بشكل خاص في حسابات السياسة، حيث اعتقد المسؤولون الأمريكيون أنه يمكنهم متابعة أهداف متعددة في مناطق جغرافية بعيدة. وعندما أدركوا حقيقة أن الفترة أحادية القطب كانت وهمًا، حاولوا موازنة المصالح في منطقة البحر الأسود وهذا زاد من الغموض وانعدام الأمن في المنطقة. وعندما بالغت أوكرانيا وجورجيا في تضخيم قيمهما المتعلقة بالازدهار والمبادئ الأمريكية وتحذتا النفوذ الإقليمي لروسيا، وجدت القيادتان نفسيهما مهجورتين في مواجهة أعمال روسيا العسكرية. وبشكل عام، عندما حاولت الولايات المتحدة اتباع سياسة الكل معًا (Ps 4)، وحاولت تحقيق العناصر الأربعة في وقت واحد؛ لم تفشل فحسب، بل خاطرت أيضًا بأمن العديد من حلفائها الإقليميين في المنطقة.

الخاتمة:

يحلل هذا البحث أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في منطقة البحر الأسود من خلال تبني نظام جيتلسون للمصالح الوطنية (Ps 4) في العملية التاريخية. بدايةً توصل التحليل إلى نتيجة مفادها أن الإدارات الأمريكية تاريخياً ركزت على أهداف معينة، وتجنبت السياسات المعقدة في المنطقة، فالأولوية الإقليمية الرئيسة لواشنطن قبل الحرب الباردة كانت تركز على متابعة العلاقات الاقتصادية، وتعزيز التجارة الحرة في المنطقة. وعلى الرغم من أن العلاقات الاقتصادية مع دول منطقة البحر الأسود لم تتطور بالقدر الذي كان يريه المسؤولون، فإن الوضع المفتوح للمضايقات كان مهمًا لمبدأ التجارة الحرة. ومع ذلك، كان عدم الاهتمام بالمنطقة واضحًا جدًا من عدم

مشاركة الولايات المتحدة في الاتفاقات الإقليمية، وعدم اهتمامها بتوازن القوى في المنطقة. لكن اندلاع الحرب الباردة فرض على الولايات المتحدة أن تجعل القوة في مقدمة المصالح الوطنية للولايات المتحدة في البحر الأسود. أخذت الولايات المتحدة تعمل على احتواء الاتحاد السوفيتي في البحر الأسود، فتعاونت مع تركيا لمنع روسيا من الانتشار في الشرق الأوسط والبلقان وشرق البحر الأبيض المتوسط. ومن خلال الاحتفاظ بأسطولها السادس في شرق البحر الأبيض المتوسط، حاولت الولايات المتحدة أن تسيطر وتراقب الأنشطة السوفيتية في البحر الأسود. خلال هاتين الفترتين، كانت سياسات الولايات المتحدة في البحر الأسود محدودة ومستقرة وغير طموحة. ولم يتغير الإطار العام للسياسات الأمريكية في البحر الأسود بشكل كبير مع انهيار الاتحاد السوفيتي، فالسياسات الأمريكية في منطقة البحر الأسود بقيت غير توسعية، رغم أن إدارة جورج دبليو بوش وإدارة كلينتون السابقة تحولتا بأولويات سياساتهما من القوة إلى السلام.

شهدت السياسات الأمريكية في منطقة البحر الأسود تحولات رئيسة في منتصف التسعينيات، حيث أصبحت منطقة البحر الأسود منطقة حرجة بالنسبة للسياسات الخارجية الأمريكية، ودعمت الولايات المتحدة مشروعات الطاقة بشكل كبير، وعززت التحول الديمقراطي في المنطقة. وكان ما فعله كلينتون في البحر الأسود يتمثل في تحقيق جميع المصالح الوطنية: القوة والسلام والازدهار والمبادئ، في آن واحد. ومن الصحيح أن التحول في السياسات الخارجية الأمريكية في البحر الأسود كان ثوريًا، لكنه كان إشكاليًا أيضًا، لسببين اثنين: أولهما أن أهداف السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر تجاوزت قدرات قوة البلاد، وكان على الولايات المتحدة أن تعطي الأولوية لمناطق وأهداف دون غيرها، نتيجة إخفاقها في أفغانستان والعراق. ولم تؤخذ منطقة البحر الأسود في حسابات السياسات الخارجية الأمريكية في إدارة بوش التي ركزت على الشرق الأوسط، وإدارة أوباما التي ركزت على الشرق الأقصى، وإدارة ترامب التي لم تركز على أي منطقة. والسبب الثاني يكمن في أن تزايد الاستقطاب في الولايات المتحدة عقد السياسة الداخلية فيها وصعب عليها اتباع سياسات خارجية مستقرة ومستمرة في البحر الأسود؛ وهذا أتاح الفرصة أمام روسيا لنشر نفوذها في البحر الأسود. أراد بوش تغيير سياسات كلينتون الخارجية من خلال التعاون مع روسيا، لكن روسيا استغلت هذا التعاون وهاجمت جورجيا في نهاية فترة رئاسة بوش. وعندما وصل أوباما إلى سدة الحكم، كان يحلم بإعادة بناء العلاقات مع روسيا، لكنه هو الآخر رأى في نهاية فترة ولايته عدواناً روسياً، لكن هذه المرة ضد أوكرانيا في منطقة البحر الأسود. من

ناحية أخرى، لم يقدر ترامب التزامات السياسة الخارجية عندما كان يريد تطوير العلاقات مع روسيا. والآن وسّعت موسكو نفوذها في المنطقة من خلال اجتذاب دولة أخرى على البحر الأسود إلى جانبها، وهي تركيا، ولكن هذه المرة بالوسائل السلمية. ومشهد البحر الأسود بعد خمسة وعشرين عامًا من بدء كليتون محوره بيدي خسارة الولايات المتحدة منطقة البحر الأسود أمام روسيا قطعة تلو أخرى.

إن مشكلة التوسع المفرط لا تزال موجودة في السياسات الأمريكية المتعلقة بالبحر الأسود. على غرار أسلافه، جاء جو بايدن إلى منصب الرئاسة بأهداف سياسية توسعية من خلال تأكيد الدور القيادي العالمي لأمريكا، مع إظهار موقف عدواني تجاه روسيا. في فترة ما قبل الانتخابات، ركز خطاب بايدن بشكل أكبر على السلام والازدهار والمبادئ. كما أشار إلى ضرورة «حشد العمل العالمي بشأن التهديدات العالمية»، و«النجاح في اقتصاد عالمي بسياسة خارجية للطبقة الوسطى»، وإلى ضرورة التعاون مع «تحالف الديمقراطيات». لكن كل هذه الأهداف كانت في نهاية المطاف تصب في خدمة تجديد القيادة و/أو القوة العالمية الأمريكية⁵⁶. يعتقد بايدن أنه «لا توجد دولة لديها [القدرة] المطلوبة» و«لا توجد دولة أخرى مبنية على فكرة [الحرية]»، وأنه «تقع على عاتق الولايات المتحدة قيادة [العالم]». ويعدّ بايدن روسيا برئاسة بوتين أحد التهديدات الرئيسة للتفوق الأمريكي. يقول: إن روسيا تخشى من ازدياد قوة حلف الناتو، ومن تصدي حلف الناتو للعدوان الروسي، ويقول: إنه يجب على الولايات المتحدة وحلفائها الحفاظ على حدة قدراتها العسكرية عند توسيع قدرة حلف الناتو على محاربة التهديدات غير التقليدية، مثل الهجمات الإلكترونية، وحمولات التضليل. كما حث بايدن على فرض عقوبات على روسيا في حال انتهاكها للمعايير الدولية، ودعم الروس الذين يناضلون ضد «نظام بوتين الاستبدادي الفاسد»⁵⁷.

على غرار ما حدث في الماضي، كانت الأقوال أكثر وضوحًا وحادّة من الأفعال. ولئن شجعت هذه الأقوال القوات المناهضة لروسيا في منطقة البحر الأسود، فإنها سرعان ما أصيبت بخيبة أمل في العام الأول لإدارة بايدن. وقد اختبرت روسيا بوتين أفعال بايدن والتزامات الحلف الأمريكي في المنطقة من حين لآخر، لكن بايدن امتنع عمومًا عن التعامل مع روسيا، وبدأ أنه يركّز على المشكلات الداخلية بدلًا من اتباع سياسة قيادة نشطة في منطقة البحر الأسود. على سبيل المثال، بعد أربعة أيام فقط من وصول بايدن إلى السلطة، ورد أن روسيا انتهكت الهدنة في أوكرانيا بقصف منطقة بيفدين واستمرت في انتهاك هذا النوع من الهدنة طوال عام 2021. حتى إن روسيا كانت تخطط لغزو منطقة دونباس في أوكرانيا في ربيع ذلك العام باستخدام القوات

شبه العسكرية وغيرها من الوسائل الممكنة، وتحقق انتشاراً روسياً كبيراً بالقرب من الحدود الأوكرانية منذ عام 2014، على حد قول سكرتير البنتاغون المسؤول عن الصحافة جون كيربي⁵⁸. وجاء رد فعل بايدن على هذه التطورات بالإعلان عن إرسال سفينتين حربيتين إلى البحر الأسود، ثم إلغاء هذا الانتشار لاحقاً؛ لمنع حدوث أزمة عسكرية مع روسيا بشأن أوكرانيا⁵⁹.

وعندما أظهرت إدارة بايدن ردود أفعال مشابهة خلال المواجهات العسكرية في البحر الأسود بعد شهرين، بدأ حلفاء أمريكا الإقليميون يشعرون بالقلق من انسحاب بايدن من البحر الأسود، وقطع المساعدات العسكرية عن أوكرانيا تمهيداً لبدء «صداقة جميلة» مع روسيا⁶⁰. في نهاية العام، جاءت السفن الحربية الروسية والأمريكية وجهاً لوجه مرة أخرى في البحر الأسود وتراشق الطرفان التحذيرات والتهديدات، لكن بايدن أعلن في نهاية المطاف أنه لن يرسل القوات العسكرية الأمريكية إلى أوكرانيا لردع التهديد الروسي⁶¹، الأمر الذي أظهر لبوتين أن الولايات المتحدة اكتفت بالقول دون الفعل في مواجهة تصميم روسيا في الجوار القريب. وعندما هاجمت القوات العسكرية الروسية الأراضي الأوكرانية في فبراير ومارس 2022، ترددت إدارة بايدن في إرسال قوات عسكرية لمساعدة الحكومة الأوكرانية واكتفت بفرض عقوبات اقتصادية على روسيا، الأمر الذي فهمت منه روسيا حدود ما يمكن أن تفعله الولايات المتحدة في منطقة البحر الأسود.

إن الأمر الذي يجب أن تفعله الإدارات الأمريكية -والأمر الذي يجب ألا تفعله منذ نهاية الحرب الباردة- هو أن تتوقف عن التردد، وأن تقرر ما تريد فعله. فما يُسمّى «بلحظة التفرد الأمريكي» أوهم صانعي السياسات في الولايات المتحدة بأنهم يستطيعون بلوغ جميع أهدافهم المتمثلة في القوة والسلام والازدهار والمبادئ في آن واحد ومن دون أي صعوبة. وقد ثبت في العقدين الماضيين أن الدولة الأقوى في العالم لا تملك القدرة ولا الإرادة لتحقيق كل هذه الأهداف في وقت واحد؛ لأن هذه الأهداف تتعارض فيما بينها بشكل أساسي. فالسياسات الرامية للسعي وراء القوة والنفوذ تعارضت في الغالب مع مصالح القوى الإقليمية الأخرى التي تسببت في عدم الاستقرار في العديد من المناطق، من ذلك بحر الصين الجنوبي والشرق الأوسط ومنطقة البحر الأسود. وفي أوساط الحروب والصراعات لا يمكن تحقيق الازدهار، بل يحصل بدلاً من ذلك تدفق موجة المهاجرين، وزيادة عدم المساواة بين اقتصادات المنطقة. وأخيراً تبقى المبادئ مجرد «كلام فارغ» طالما أن الأقوال والخطابات لا تتحوّل إلى أفعال بسبب المصالح الوطنية. يجب أن ننوّه هنا إلى أن الولايات المتحدة

أحرزت نجاحات غير مسبوقة في تاريخها، عندما رتب صنّاع السياسة سلّم أولوياتهم، وامتنعوا عن التوسّع المفرط في السياسة الخارجية. فإذا كانت الأولوية تُعطى للقوة والسلام، فإن الولايات المتحدة قد تتبع سياسات واقعية كما في الحرب الباردة، وتتولى القيادة على الأكثر داخل «المناطق الغربية»، ولا تتدخل في ديناميكيات السلطة في المناطق الأخرى. وإذا كانت الأولوية للازدهار، فإن السياسة الخارجية الأمريكية في القرن التاسع عشر مثال رائع على أن المجتمع المنتج والصناعي يمكن أن يثري نفسه من خلال تجنب الالتزامات العسكرية الواسعة وأطماعها في الحصول على القوة والنفوذ. وإذا كانت الأولوية للمبادئ، فقد ثبت بالتجربة أن بعض الأفكار والقيم السياسية لا تُعدّ عالمية وبدهية. إن الدول والمجتمعات غير الغربية سوف تقاوم الديمقراطية والليبرالية، خصوصًا عندما يجري إملاء هذه القيم عليها بالقوة؛ ولذلك لا يمكن للولايات المتحدة أن تشر هذه القيم بالقوة، بل بكونها قدوة تُحتذى، وهذا الأمر يتطلب منها أن تتخلى عن اتباع سياسة الهيمنة. ومن الجدير بالذكر أنّ أيًا من هذه القرارات سيقود إلى مستقبل مختلف؛ لا في منطقة البحر الأسود وحدها، بل في السياسة العالمية كلّها.

الهوامش والمراجع:

1. Andrew Roth, "Ukraine President Warns Russia Tensions Could Lead to 'Full-Scale War,'" *The Guardian*, (November 28, 2018), retrieved June 1, 2021, from <https://www.theguardian.com/world/2018/nov/27/russia-to-charge-ukrainian-sailors-as-kerch-crisis-deepens>.
2. Brett Samuels, "GOP Senator: 'I Think We Need to Do More' to Respond to Russian Aggression toward Ukraine," *The Hill*, (December 2, 2018), retrieved June 1, 2021, from <https://thehill.com/homenews/sunday-talk-shows/419340-gop-senator-i-think-we-need-to-do-more-to-respond-to-russian>.
3. "USS Donald Cook Departs Odessa, Ukraine," *United States Navy*, (February 27, 2019), retrieved June 1, 2021, from https://www.navy.mil/submit/display.asp?story_id=108728.
4. Noah Weiland, "5 Times the Trump Administration Has Been Tougher than Trump on Russia," *New York Times*, (January 21, 2019), retrieved June 1, 2021, from <https://www.nytimes.com/2019/01/21/us/politics/trump-administration-russia-president.html>.

- Bruce W. Jentleson, *American Foreign Policy: The Dynamics of Choice in the 21st Century*, (New York: W. W. Norton and Company, 2010), p. 9. .5
- Laura Silver, "Americans Differ from People in Other Societies over Some Aspects of U.S. 'Hard' and 'Soft' Power," *Pew Research Center*, (November 1, 2021), retrieved January 4, 2022, from <https://www.pewresearch.org/fact-tank/2021/11/01/americans-differ-from-people-in-other-societies-over-some-aspects-of-u-s-hard-and-soft-power/>. .6
- "In a Politically Polarized Era, Shard Divides in Both Partisan Coalitions," *Pew Research Center*, (December 17, 2019), retrieved January 4, 2022, from <https://www.pewresearch.org/politics/2019/12/17/6-views-of-foreign-policy/>. .7
- "In a Politically Polarized Era, Shard Divides in Both Partisan Coalitions." .8
- Bradley Jones, "Americans Are Generally Positive about Free Trade Agreements, More Critical of Tariff Increases," *Pew Research Center*, (May 10, 2018), retrieved January 4, 2022, from <https://www.pewresearch.org/fact-tank/2018/05/10/americans-are-generally-positive-about-free-trade-agreements-more-critical-of-tariff-increases/>. .9
- James W. Skillen, "Three Zionisms in the Shaping of American Foreign Policy," in Jonathan Chaplin and Robert Joustra (eds.), *God and Global Order: The Power of Religion in American Foreign Policy*, (Texas: Baylor University Press, 2010), p. 90. .10
- "Conflicting Partisan Priorities for U.S. Foreign Policy," *Pew Research Center*, (November 29, 2018), retrieved January 4, 2022, from <https://www.pewresearch.org/politics/2018/11/29/conflicting-partisan-priorities-for-u-s-foreign-policy/>. .11
- David A. Baldwin, "Neoliberalism, Neorealism, and World Politics," in David A. Baldwin (ed.), *Neorealism and Neoliberalism: The Contemporary Debate*, (New York: Columbia University Press), pp. 4-8. .12
- John J. Mearsheimer, *The Tragedy of Great Power Politics*, (New York: Norton, 2001). .13
- Patrick Callahan, *Logics of American Foreign Policy: Theories of America's World Role*, (New York: Longman, 2004), pp. 29-30. .14
- Eugene Gholz, "Come Home, America: The Strategy of Restraint in the Face of Temptation," *International Security*, Vol. 21, No. 4 (1997), pp. 5-48. .15
- William C. Wohlforth, "The Stability of a Unipolar World," *International Security*, Vol. 24, No. 1 (1999), p. 7. .16

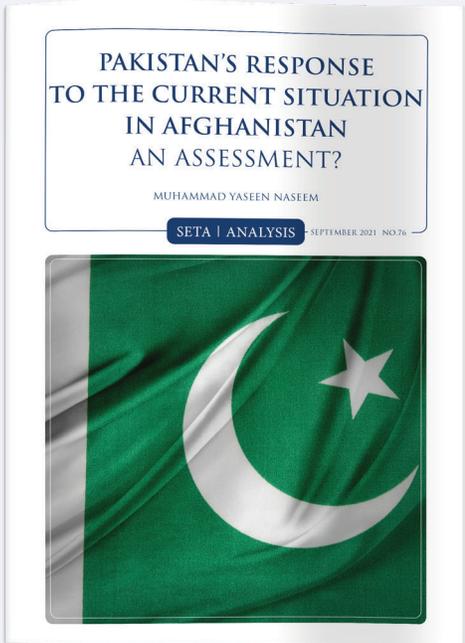
- Kenneth N. Waltz, "The Stability of a Bipolar World," *Daedalus*, Vol. 93, No. 3 (1964), pp. 881-909. .17
- Charles W. Kegley and Gregory A. Raymond, *A Multipolar Peace? Great Power Politics in the Twenty-First Century*, (New York: St. Martin's Press, 1994). .18
- Bruce M. Russett, *Grasping the Democratic Peace: Principles for a Post-Cold War World*, (Princeton: Princeton University Press, 1993). .19
- James D. Morrow, "Modeling the Forms of International Cooperation: Distribution Versus Information," *International Organization*, Vol. 48, No. 3 (1994), pp. 387-388. .20
- Dale C. Copeland, *Economic Interdependence and War*, (Princeton: Princeton University Press, 2015), pp. 16-50. .21
- James Field Jr., *America and the Mediterranean World, 1776-1882*, (Princeton: Princeton University Press, 1969). .22
- Jentleson, *American Foreign Policy*, p. 15. .23
- Stephen Spector, *Evangelicals and Israel: The Story of American Christian Zionism*, (New York: Oxford University Press, 2009), pp. 15-16. .24
- Jane Kamensky, Carol Sheriff, David W. Blight, Howard Chudacoff, Fredrik Logevall, Beth Bailey, and Mary Beth Norton, *A People and a Nation: A History of the United States*, (New York: Houghton Mifflin Company, 2005), p. 51. .25
- Charles Krauthammer, "The Unipolar Moment," *Foreign Affairs*, Vol. 70, No. 1 (1990), pp. 23-33. .26
- Çağrı Erhan, *Türk-Amerikan İlişkilerinin Tarihsel Kökenleri*, (Ankara: İmge Kitabevi, 2015), pp. 98-102. .27
- Field, *America and the Mediterranean World*, p. 187. .28
- Akis Kalaitzidis and Gregory W. Streich, *U.S. Foreign Policy: A Documentary and Reference Guide*, (California: ABC-CLIO, 2011), p. 72. .29
- "The Papers of Mark L. Bristol-I, War Diary," *Library of Congress Manuscript Division*, (June 22, 1919). .30
- Ivo H. Daalder and James M. Lindsay, *The Empty Throne: America's Abdication of Global Leadership*, (New York: Public Affairs, 2018). .31
- Hal Brands, *What Good Is Grand Strategy? Power and Purpose in American Statecraft from Harry S. Truman to George W. Bush*, (Ithaca: Cornell University Press, 2014), pp. 23-24. .32

- “867.81, Internal Affairs of States, Turkey, Waterways,” *U.S. Central File*, .33
(September 10, 1945).
- “CAB121/569, Secret Telegram No. 6127 from Washington to Foreign .34
Office,” *State Archives of the Presidency of Turkey*, (September 9, 1945).
- Harry S. Truman, *Year of Decisions*, Vol. I, (New York: New American .35
Library, 1965), p. 606.
- “14.03.1949/301812.118.105.3.,” *State Archives of the Presidency of .36
Turkey*, (1949).
- Melvyn P. Leffler, “Strategy, Diplomacy, and the Cold War: The United .37
States, Turkey, and NATO, 1945-1952,” *The Journal of American History*,
Vol. 71, No. 4 (1985), pp. 822-823.
- “1953/30100.61.376.17.,” *State Archives of the Presidency of Turkey*, .38
(1953).
- B. M. Potshveriya, “Rusya-Türkiye İlişkilerinde Boğazlar Sorunu,” in .39
Gülten Kazgan and Natalya Ulçenko (eds.), *Dünden Bugüne Türkiye ve
Rusya*, (İstanbul: İstanbul Bilgi Üniversitesi, 2003), p. 93.
- Peter Strafford, “American and NATO Commanders in the Mediterranean .40
Feel Anxiety over the Still Growing Soviet Naval Presence,” *The Times*,
(April 20, 1971), p. 6.
- Francis Fukuyama, *The End of History and the Last Man*, (New York: Free .41
Press, 1992).
- William W. Newmann, “History Accelerates: The Diplomacy of Co- .42
operation and Fragmentation,” in James E. Goodby and Benoit Morel (eds.),
The Limited Partnership: Building a Russian-US Security Community,
(New York: Oxford University Press, 1993), pp. 45-46.
- Andrew Felkay, *Out of Russian Orbit, Hungary Gravitates the West*, .43
(Westport: Greenwood Press, 1997), p. 83.
- Richard F. Kaufman and John Pearce Hardt, *The Former Soviet Union in .44
Transition*, (Armonk: M.E. Sharpe, 1993), p. 701.
- Bohuslav Litera, “The Kozyrev Doctrine: A Russian Variation on the .45
Monroe Doctrine,” *Perspectives*, No. 4 (1994/1995), p. 45.
- Gawdat Bahgat, “Pipeline Diplomacy: The Geopolitics of the Caspian Sea .46
Region,” *International Studies Perspective*, Vol. 3, No. 3 (2002), pp. 310-
327.
- Zbigniew Brzezinski, *The Grand Chessboard: American Primacy and Its .47
Geostrategic Imperatives*, (New York: Basic Books, 1997), p. 31.

- Ian Rutledge, *Addicted to Oil: America's Relentless Drive for Energy Security*, (New York: I.B. Tauris, 2005), p. 105. .48
- Zbigniew Brzezinski, *Second Chance: Three Presidents and the Crisis of American Superpower*, (New York: Basic Books, 2007), p. 121. .49
- Sergei Konoplyov and Igor Delanoe, "Continuities and Ruptures: Tracking the US Interests in the Black Sea Area in the Context of the 'Pivot to Asia,'" *Journal of Balkan and Near Eastern Studies*, Vol. 16, No. 3 (2014), p. 359. .50
- Steven Erlanger and Steven Lee Myers, "NATO Allies Oppose Bush on Georgia and Ukraine," *New York Times*, (April 3, 2018), retrieved June 16, 2021, from <https://www.nytimes.com/2008/04/03/world/europe/03nato.html>. .51
- Konoplyov and Delanoe, "Continuities and Ruptures," p. 362. .52
- "Remarks by President Trump to the 73rd Session of the United Nations General Assembly," *White House*, (September 25, 2018), retrieved June 17, 2021, from <https://www.whitehouse.gov/briefings-statements/remarks-president-trump-73rd-session-united-nations-general-assembly-new-york-ny/>. .53
- Jeffrey Mankoff, *Russian Foreign Policy: The Return of Great Power Politics*, (Lanham: Rowman and Littlefield Publishers, 2011), p. 101. .54
- Hillary Rodhan Clinton, *Hard Choices*, (New York: Simon and Schuster, 2014). .55
- "The Power of America's Example: The Biden Plan for Leading the Democratic World to Meet the Challenges of the 21st Century," *Joe Biden*, retrieved January 7, 2022, from <https://joebiden.com/americanleadership/>. .56
- <?>. Joseph R. Biden Jr., "Why America Must Lead Again: Rescuing U.S. Foreign Policy After Trump," *Foreign Affairs*, Vol. 99, No. 2 (2020), pp. 73, 76. .57
- Mykola Bielieskov, "The Russian and Ukrainian Spring 2021 War Scare," *Center for Strategic and International Studies*, (September 2021), retrieved January 7, 2022, from <https://www.csis.org/analysis/russian-and-ukrainian-spring-2021-war-scare>. .58
- Natasha Bertrand and Lara Seligman, "U.S. Drops Plans to Send Destroyers into the Black Sea Due to Concerns over Russia," *Politico*, (April 15, 2021), retrieved January 7, 2022, from <https://www.politico.com/news/2021/04/15/us-navy-ukraine-russia-tensions-481897>. .59

Abraham Mahshie, "Russia's Black Sea Navy Grows as Allies Worry Biden Will Pull Back," *Washington Examiner*, (June 19, 2021), retrieved January 7, 2022, from <https://www.washingtonexaminer.com/policy/defense-national-security/russias-black-sea-navy-grows-allies-worry-biden-pull-back> .

Andrew Roth, "Biden Says He Won't Send US Troops to Ukraine to Deter Russian Threat," *The Guardian*, (December 8, 2021), retrieved January 7, 2022, from <https://www.theguardian.com/world/2021/dec/08/russia-talks-of-rapid-ukraine-discussions-after-biden-putin-summit>.



Pakistan's Response to the Current Situation in Afghanistan | An Assessment

Muhammad Yaseen Naseem

Afghans have a historic opportunity to decide their future and neighboring countries must help them by recognizing the new realities emerging in Afghanistan.

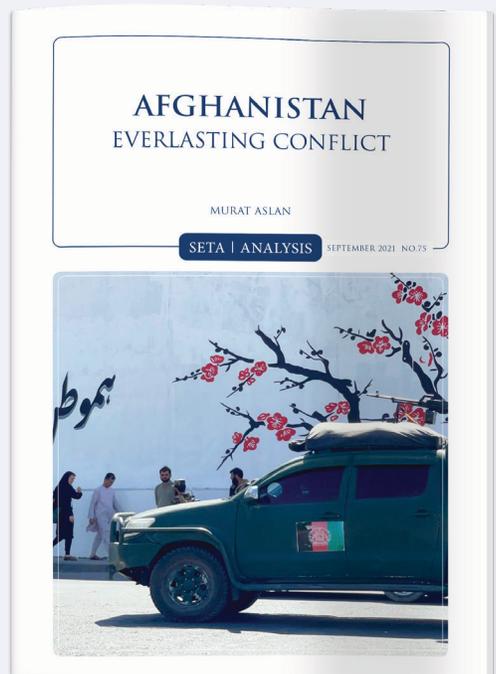


Read Online

Afghanistan | Everlasting Conflict

Murat Aslan

This analysis has been drafted to handle the Afghan folder first by presenting the general picture in Afghanistan with an eye toward global and regional attitudes, the probable modus operandi of the Taliban and, finally, the basics of Turkish foreign policy regarding Afghanistan, insofar as Turkey may become an essential engaging actor to Afghans.



Read Online